الفصل الثاني والثمانون

أثر النصرانية في الجاهليين

وإذا كنا قد حُرمنا من الموارد الأصلية التي يجب أن نستعين بها في معرفة أثر النصرانية عند نصارى الجاهلية والجاهليين ، فإن في الشعر المنسوب إلى بعض نصارى الجاهلية مثل عدي بن زيد العبادي والى بعض الشعراء ممن كان لهم اتصال بالنصارى مثل الأعشى ، فائدة في تكوين صورة يتوقف صفاؤها ووضوحها وقربها أو بعدها من الواقع والحق على مقدار قرب ذلك الشاعر من الصدق والصواب والواقع والافتعال .

وعدي بن زيد هو أشهر من وصل الينا خبره من شعراء النصارى الجاهليين . هو من العباديين ، أي من نصارى الحيرة ، ولذلك عرف بالعبادي . كان من أسرة اكتسبت نفوذاً واسعاً ونالت حظاً كبيراً عند الفرس وعند ملوك الحيرة ، فكان لها أثر خطير في سياسة عرب العراق في ذلك الزمن . ولما كانت السياسة ارتفاعاً وهبوطاً ، سعادة وشقاء ، لاقى عدي منها الاثنين : ارتفع حتى بلغ أعلى المنازل ، ثم انخفض حتى تلقاه قابض الأرواح وهو في سجنه فقضى عليه بعد أن ترك أثراً خطيراً في سياسة الحيرة وفي تقرير مصير الملك فيها . وعدي ، على ما يذكر أهل الأخبار ، من أهل اليمامة في الأصل : هاجر أحد أجداده من اليمامة الى الحيرة بسبب دم أهرقه هناك ، فخاف على نفسه من الثأر ، ولم يجد محلاً أصلح له وآمن مقاماً من الحيرة ، لوجود (أوس بن قلام) أحد رؤساء بني الحارث بن كعب فيها ، وهو من أصحاب الجاه والنفوذ ، وبينه وبين أوس

نسب من النساء ، وهو نسب يضمن له الحماية والعيش بسلام ، فجاء الى الحيرة وأقام بها حيث أكرمه أوس وقربه الى آل لخم ، واكتسب منزلة عالية عند ملوك الحيرة ، انتقلت من بعده الى أبنائه الذين كوّنوا لهم صلات وثيقة مع آل لخم ومع ملوك الفرس ، بما كان لهم من علم وذكاء وحسن سياسة . ويذكر الأخباريون أن جدّ عدي قد تعلم الكتابة في الحيرة ، فصار من أكتب الناس فيها ، وأنه لذلك انتخب كاتباً لملك الحيرة ، واتصل بحكم وظيفته المهمة هذه بدهاقين الفرس ، وأنه لما توفي أوصى بابنه زيد والد عدي الى واحد منهم يعرف بـ (فروخ ماهان) فأخذه هذا الى بيته ، ورباه مع ولده . فتعلم عندهم الفارسية ، وحذقها وكتب بها وبرّز ، وكان قد حذق الكتابة بالعربية كذلك ، فأوصله الدهقان الى كسرى ، لعلمه هذا باللغتين ولذكائه ، فعينه في وظيفة مهمة لم يكن الفرس يعينون لها أحداً من غيرهم هي وظيفة البريد . وقد مكث في هذه الوظيفة زماناً جعلته يكتسب منزلة محترمة عند عرب الحيرة والفرس .

وعُني زيد بتربية ولده عدياً : أرسله الى الكتّاب ليتعلم به العربية . فلما برع فيها ، أرسله الى كتاب الفارسية حيث تعلم مع أبناء المرازبة فنون القول والكتابة ، ثم تعلم الرماية ولعب الفرس حتى صار من المبرزين فيها . وقد قربه علمه وعقله من آل لخم ومن الفرس حتى وصل الى مناصب عالية جعلت لقوله أهمية كبيرة حتى في تثبيت ملك ملوك الحيرة .

وقد أرسله (هرمز بن أنو شروان) في سفارة مهمة إلى القيصر (طيباريوس) فأدّاها على خير وجه . وعاد فأقام أمداً بالشأم ، ووقف على ما كان فيها من علم ومعالم . وقد زادت هذه الأسفار بالطبع في سعة أفقه وفي ثقافته . ثم عاد الى الحيرة ، فوجد والده قد توفي بعد ان صار المهيمن الحقيقي على البلاد . وزار كسرى ليقدم اليه هدايا قيصر . وارتفع نجمه في البلاطين . وتزوج هنداً بنت الملك النعمان . غير ان تقدمه هذا أوجد له خصومة شديدة من منافسيه (بني مرينا) وهم نصارى مثله ومن أهل الجاه والحسب ، فأغرى خصمه ومنافسه العنيد (عدي بن مرينا) قلب النعمان عليه . وكان عدي بن زيد صاحب الفضل في حصول النعمان على تاج . وظل (ابن مرينا) يعمل في الخفاء للقضاء على عدي ،

حتى تمكن من ذلك ، إذ سجنه النعمان ، ثم أمر فاغتيل وهو في السجن[1] .

وذكر ان (كسرى) جعله كاتباً على ما يجتبى من الغور ، وكان هو سبب ملك النعمان بن المنذر[2] .

والذي يهمنا في هذا الموضع من أمر عدي هو مدى وقوف عدي على النصرانية ومبلغ تسربها في نفسه وفي نفوس أهل الحيرة . أما النواحي الأخرى من حياته ، فليس لها محل في هذا المكان . وشعر عدي وأضرابه من العباديين هو سندنا الوحيد الذي نستخرج منه رأينا في النصرانية عند عدي وعند اخوانه العباديين .

والشعر المنسوب الى عدي أقرب إلى نفوسنا وأسهل علينا فهماً من الشعر المنسوب إلى بقية الجاهليين ، معانيه وألفاظه حضرية متحررة من الأساليب البدوية التي تميل إلى استعمال الجزل من الكلمات ، وهو يخالف مذاهب أولئك الشعراء في كثير من الأمور . ولهذا « كانت الرواة لا تروي شعر أبي دُؤاد ولا عدي بن زيد لمخالفتها مذاهب الشعراء »[3] ، و « لأن ألفاظه ليست بنجدية »[4] . وقد ورد في شعره بعض المعربات مما يدل على أثر الفارسية والإرمية فيه[5] . وكثير من شعره هو في الزهد ، وفي التذمر من هذه الدنيا التي لا تدوم حالها على حال ، وفي تذكير الأحياء بنهاية الأموات بالرغم مما أقاموه وشيّدوه من أبنية ضخمة وقصور شاهقة . وهذا الشعر يتناسب مع ما يذكره أهل الأخبار عن حياة هذا الشاعر وتألق نجمه وبلوغه أعلى المراتب ثم سقوطه فجأة ودخوله السجن واغتياله فيه . وفي شعره قصائد في القيان وفي الخمر تتحدث عن الحياة التي قضاها قائلها، وهي حياة لذيذة ولكنها لا تدوم بالطبع إلى الأبد ، ولا بد لها ان تزول ثم تنتهي بما

---

١ المشرق ، الجزء الاول ، كانون الاول ١٩٤٤ ، (ص ٣٦ وما بعدها) ، شعراء النصرانية (٤٢٦ وما بعدها) ، كارلو نالينو ، تاريخ الآداب العربية في الجاهلية حتى عصر بني اميه (ص ٧٢) ، (القاهره ١٦٥٤) ،
Ency., I, p. 137, Brockelmann, I, S. 29, Rothstein, S. 109, Nöldeke, Geschichte der Perser und Araber zur Zeit der Sassaniden, S. 512, Islamic Culture, IV, p. 31. ff.

٢ نوادر المخطوطات ، أسماء المغتالين (١٤٠) .

٣ الاغاني (١٥/٩٣) ، (مطبعة التقدم) ، (ذكر أخبار أبي دؤاد الايادي ونسبه) ، نالينو (٧٤) .

٤ ابن قتيبة ، الشعر (١١٥) .

٥ نالينو (٧٤) .

يوجب الأسف عليها والألم والتوجع من فنائها ومن ذهاب تلك الأيام .

أما صميم الديانة والآراء النصرانية الخاصة ، وهي ضالتنا في هذا الفصل وهدفنا الذي نقصده ، فلا تجد منها في شعره الموثوق بصحته شيئاً كثيراً . ونحن لا نستطيع بالطبع ان نلوم عدياً على ذلك ، فعدي كما نعلم رجل شعر وسياسة،وليس برجل دين ولا كهانة فيتعمق في شعره بإيراد تواريخ الأنبياء والأوامر والنواهي الإلهية الواردة في التوراة والانجيل . ولم يذكر أحد من الأخباريين عنه انه كان كاهناً أو قسيساً فنأمل منه التطرق في شعره الى موضوعات اللاهوت والكهنوت . فما نجده في شعره عن النصرانية هو من حاصل المناسبات والظروف ، وليس من حاصل بحث متعمد قصد به البحث في الدين من أجل الدين .

ولو كان عديّ قد تعرض للنصرانية عنده وبين قومه لأفادنا ولا شك كثيراً . وما زلنا في الواقع فقراء في ناحية علمنا بمبلغ فهم أهل الحيرة وغير أهل الحيرة من نصارى العرب في الجاهلية لأحكام النصرانية وقواعدها ، ومقدار رسوخها في نفوس أولئك النصارى ولا سيما الأعراب منهم . ولكن عذره كما قلت بيّن واضح، وليس لنا أن نلومه . وما جاء به عن النصرانية في شعره على كل حال مفيد ، أفادنا ولا شك . فلنكن قنوعين غير طامعين ، مكتفين بما أورده عدي عنها في شعره ، ولننظر الى المستقبل ، فهو أملنا الوحيد ، فلعلّه يكشف عن مصادر كتابية مطمورة ، يبعثها من قبورها المغمورة بالأتربة المتراكمة ، وعندئذ تكون أمام المؤرخ ثروة تغنيه،يستطيع أن يظهرها العشاق للمولعين بمعرفة أحوال الماضين .

وقد ورد في قصيدة قيل انه نظمها في معاتبة النعمان على حبسه بيت فيه قسم برب مكة والصليب :

سعى الأعداء لا يألون شراً عليك ورب مكة والصليب[1]

وهذا البيت يدعو الى التأمل والتفكير ، فرجل نصراني يؤمن بعيسى وبالصليب، لا يمكن أن يقسم برب مكة . فمكة كما نعلم مجمع الأصنام والأوثان وكعبة الوثنية في الجاهلية ، فكيف يقسم بربها رجل نصراني يرى الأوثان والوثنية رجساً من عمل الشيطان وكفراً . بل لو فرضنا أنه أقسم بمكة وبرب مكة على سبيل مجاراة

---

١ شيخو ، شعراء النصرانية (٤٥١) .

العرب الوثنيين وتقرباً الى الملك النعمان ، فليس لدينا دليل مقنع يفيد أن وثني الحيرة كانوا يؤمنون برب مكة . ولم يذكر أحد من أهل الأخبار ان أصنام أولئك الوثنيين كانت بمكة ، وأن أهل الحيرة كانوا يزورون مكة ويحجون الى (رب البيت) في جملة من كان يحج اليه من العرب . ولم يرد في روايات أهل الأخبار ان الملك (النعمان) كان وثنياً مؤمناً بقدسية مكة وأنه حج اليها حتى نذهب الى الفرض بأن عدياً ، إنما أقسم بمكة ، مجاراة لهذا الملك ، بل الوارد فيها أنه كان على دين النصرانية ، وانه كان مؤمناً بهذا الدين ، يزور الأديرة ويحضر الصلوات ورجل على هذا النحو من التدين لا يمكن بالطبع أن يحفل بقسم ببيت من بيوت الأصنام . ثم ان مصطلح (رب مكة) ، هو مصطلح اسلامي ، أخذ من عقيدة التوحيد في الإسلام ، فقيل : (رب البيت) و (رب هذا البيت)[1] .

لقد اتخذ الأب (شيخو) هذا البيت دليلاً على انتشار النصرانية في مكة وعلى تنصر أحياء منها ، وعلى ان النصرانية قديمة فيها ، بل يكاد يفهم من قوله ان البيت هو في الأصل كنيسة بنيت بعد المسيح بعهد قليل : بناها النصارى الذين جاءوا إلى هذه المدينة وسكنوها ، وان صور الأنبياء وصورة عيسى وأمه مريم التي ذكر الأخباريون انها كانت مرسومة على جدار الكعبة والتي أمر الرسول بطمسها ومحو معالمها هي دليل على أثر النصرانية في مكة ، ولهذا كان النصارى الجاهليون يحجون اليها ويقدسونها ، ولهذا السبب أقسم[2] عدي بها ، وأقسم الأعشى بها كذلك حيث قال :

حلفت بثوبي راهب الدير والتي بناها قصيٌّ والمضاض بن جرهم

وذكر ان من شعر (عدي) هذا البيت :

كلا يميناً بذات الودع لو حدثت فيكم وقابل قبر الماجد الزارا[3]

وقد اختلف العلماء في مراده بـ (ذات الودع) ، فذهب بعض منهم الى

---

١ « فليعبدوا رب هذا البيت » ، سورة قريش ، الآية ٣ .

٢ النصرانية (ص ١١٨) ، وفي الديوان :
فاني وثوبي راهب اللج والتى بناها قصى وحده وابن جرهم
ديوان الأعشى (ص ٩٥) .

٣ تاج العروس (٥/٥٣٤) ، (ودع) .

ان (ذات الودع) الأوثان ، أو وثن بعينه ، وقيل سفينة نوح ، وكان يحلف بها ، وكانت العرب تقسم بها ، وتقول : بذات الودع . وقيل الكعبة ، لأنه كان يعلق الودع في ستورها [1] .

ولم يرد في شعر عدي شيء ما يتحدث عن عقيدة التثليث ، أي الايمان بالثالوث. وكل ما ورد فيه هو الاشارة الى عقيدة بوجود رب واحد هو (الله) . وهو رب مستجيب مسبّح خلاق [2] . وهذا الرأي اسلامي كما هو معلوم ، وقريب من عقيدة الحنفاء .

ووردت في بيت شعر وجهه الى النعمان كلمة (أبيل) [3] ، وأبيل اسم للمسيح، ويطلق على حبر النصارى أيضاً،ومعناها الناسك والزاهد . وهي من أصل سرياني، من فعل (ابل) بمعنى ناح وبكى على خطاياه،ولذلك قصد بها الناسك والراهب [4]. وقد دعا الأعشى ضارب الناقوس : الأبيل [5] .

ونسب لعدي هذا البيت :

وأهبط اللهُ إبليساً وأوعـــده ناراً تلهب بالأسعار والشرر [6]

---

١ المصدر نفسه .

٢ فانـي قد وكلت اليـوم أمري الى رب قـريب مسـتجيب
...
أجـل ان اللـه قد فضـلكم فوق من أحـكا صلبـا بـازار
...
واذهبـي يا أميـم ان يشأ اللـ ـه بنفسي من أزم هـذا الخناق
أو تكن وجهه فتلك سبيل النـ ـاس لا تمنع الحتـوف الرواقي
...
ليس شـيء على المنـون بباق غـير وجـه المسيـح الخـلاق
شعراء النصرانية (٤٥٢ ، ٤٥٤) ، النصرانية (١٦٢) .

٣ انني واللـه فابـل حلفـي لأبيـل كلمـا صـلى جـار
وروي:
انني والله فاقبـل حلفتـي بأبيـل كلمـا صـلى جـار
شعراء النصرانية (٤٥٣) ، النصرانية (١٩٤) .

٤ تاج العروس (١٩٩/٧) ، (ابل) ، اللسان (٦/١٣) ، مرمرجي ، معجميات عربية سامية (١٣١ وما بعدها) .

٥ فاني ورب السـاجدين عشيـة وما صك ناقوس الصـلاة أبيلها
النصرانيه (٢٠٨) .

٦ النصرانية (١٦٨) .

ولم ترد كلمة (ابليس) في شعر منسوب لشاعر جاهلي آخر ، إنما وردت كلمة (شيطان) في شعر منسوب الى أميّة بن أبي الصلت .

ونسب الى عدي هذا البيت :

ناشدتنا بكتاب الله حرمتنا ولم تكن بكتاب الله تقتنع[1]

ويظهر من دراسة الشعر المنسوب لعديّ أنه كان على مذهب القائلين بالقضاء والقدر . فكل كائن خاضع لحكم القدر ، يفعل به ما يشاء ، ليس في إمكانه ردّ شيء مقدر كائن عليه . وقد رسخت هذه العقيدة في نفس عدي ولا شك بعد أن زجّ به في السجن ، وأصبح وحيداً لا يدري ما الذي سيصنع به . وهي عقيدة يسلم بها أكثر من يقع في مثل هذه الظروف ، لأنها تفرج عن النفس ، وتخفف بعض التخفيف عما ينتاب المرء وهو في هذه الحالة من هموم وأحزان . والإيمان بالقدر وبأن الانسان مسير مجبر ، عقيدة لها صلة كبيرة بالظروف الاجتماعية وبالأحوال التي تحيط بالانسان ، وهي ليست من الآراء الدينية الخالصة .

ونسبت لعدي أبيات فيها حكايات من العهد العتيق ، مثل هذه الأبيات وهي في مبدأ الخلق :

اسمع حديثاً لكي يوماً تجاوبه عن ظهر غيب إذا ما سائل سألا
أن كيف أبدى إلـه الخلق نعمته فينا وعرّفنا آياته الأولا
كانت رياحاً وماءً ذا عُراثية وظلمة لم يدع فتقاً ولا خللا
فأمر الظلمة السوداء فانكشفت وعزّل الماء عما كان قد شغلا
وبسط الأرض بسطاً ثم قدرها تحت السماء سواء مثل ما فعلا
وجعل الشمس مصراً لا خفاء به بين النهار وبين الليل قد فصلا
قضى لستة ايام خلائقه وكان آخر شيء صوّر الرجلا[2]
دعاه آدم صوتاً فاستجاب له بنفخة الروح في الجسم الذي جبلا[3]

---

١ شعراء النصرانية (٤٧٢) .

٢ قضى لستة أيام خليفته وكان آخرها أن صور الرجلا
الحيوان (٤/١٩٨) ، (عبد السلام محمد هارون) .

٣ البدء والتأريخ (١/١٥٠ وما بعدها) ، النصرانية (٢٥٤) ، وتجد في النص بعض الاختلاف عن النص الذي تجد في كتاب النصرانية ، وفي المراجع الاخرى .

وطابع هذا النظـــم وأسلوبه يفصحان انه نظم من النوع التعليمـــي الديني ، لا أدري أكان شاعرنا يعترف به وينسب إلى نفسه؟ أما أنا ، فلا أرى انه لشاعر عربي عاش قبل الاسلام .

ونجد في شعر (عدي) نزعة من نزعات التصوف والتأمل ، جاءت اليه من الأوضاع التي أحاطت به ، من وشايات ، ومن غضب الملك عليه ومن سجن ، بعد ان كان السيد المهيمن . حتى صار الدهر عنده حالاً بعـــد حال . لا يدوم صفاؤه لأحد ، فلا يركن أحد اليه ، ولا يغتر إن وجد نفسه في أعلى عليين ، فقد يسقط غداً إلى أسفل سافلين[1] .

وهناك شاعر آخر اسمه (الملمس بن عبد المسيح) يدل اسم أبيه على أنه كان نصرانياً ، غير أن هناك رواية أخرى تذكر ان اسم والده (عبـــد العُزى)[2] . وعبد العُزى من أسماء الوثنيين كما هو معروف . ثم اننا لا نجد في شعره ما يشير الى آراء وعقائد نصرانية يمكن أن يستنبط منها أنه كان نصرانيـاً . ورجل يحلف في شعره باللات والأنصاب لا يعقل أن يكون نصرانياً[3] .

أما الأعشى ، فهو شاعر عاش في الجاهلية ، وأدرك أيام الرسول . ومـدحه بقصيدة جميلة مشهورة ، جعلت أبا سفيان يحرض قومه على ارضائه خوفاً من ان يسلم ومن أن ينظم شعراً آخر في مدح الرسول وفي ذم قريش ، فجعـل له مائة من الإبل جمعها من قومه على أن يرجع ويؤجل أمر إسلامه عامـــاً . فرجع الى بلدته (منفوحة) باليمامة ، وكان قد ولد بها ، فمات بها بعد حين وعرف قبره بين الناس أمداً .

وكان الأعشى كما يروي أهل الأخبار جواباً في الآفاق ، عرف الحيرة ونادم ملوكها ، وزار النجاشي في أرضه ، وتجول في أرض النبيـــط وأرض العجم . وتنقل في أرجاء اليمن وفي حضرموت وعمان وبلاد العراق وبلاد الشأم ومتع نظره

---

١ العمدة (١/٢٢٣) .

٢ Vollers, Die Gedichte des Mutalammis, Leipzig, 1903, S. 149.

٣ أطردتني حـــدر الهجـــاء ولا واللات والأنصـــاب لا نـــل
ديوان المتلمس (١٧١) ، (طبعة فولرس) ، النصرانية (٤٠٤) .

بالآثار القديمة واتخذهـا عبرة للمعتبرين[1] . وقد وسعت هذه الأسفار آفاق نظره وعرفته على شعوب متعددة وعلى آراء ومعتقدات متنوعة . ومنها هذه النصرانيـة التي نبحث فيها .

وقد حمله اختلاطه بالنصارى العرب على الاشارة الى بعض طقوسهم وأحوال عباداتهم في شعره . وإلى ان يشير إلى قصص معروف بين أهل الكتاب ، وارد بينهم ، فذكره في شعره . فتراه يتحدث عن حمامة نوح وعن أخبار سليمان وعن جنّ سليمان وعن المباني القديمـة العادية المنسوبة اليه ، كـما تراه يشير إلى عادة النصارى في الطواف حول الصليب أو تمثال المسيح[2] . ثم تراه يشير إلى الصليب نصبه الراهب في الهيكل بعد ان زيّنه بالصور[3] .

وفي الشعر المنسوب اليه إقرار بإلـه واحد كريم[4] ، ونهي عن عبادة الأوثان ومن التقرب منها[5] ،وفيه ان الرب يكفي الانسان ويرعاه ويساعده في حله وفي ترحاله[6] ،

---

١ وقـد طفـت للمـال آفاقـه عمـان فحمـص فأوري شـلم
أتيت النجاشـي في أرضـه وأرض النبيـط وارض العجم
فنجران فالسـرو من حميـر فـأي مـرام لـه لـم أرم
ومن بعـد ذاك الى حضرمـوت فأوفيـت همى وحينـا أهـم
ألم تـرى الحضـر الا أهلـه بنعمـى ، وهـل خالد من نعـم ؟
أقـام به سـابور الجنـود حولـين يضـرب فيـه القـدم
فمـا زاده ربـه قـوة ومتـل مجـاورة لم بقـم
ديوان الاعشى « طبعة رودولف كابر » ، (ص ٣٣ وما بعدها) .
قد طفت ما بين بانقيـا الى عدن وطال في العجم ترحالي وتسياري
ديوان الاعشى (١٢٦) .

٢ قال في مدحه « قيس بن معديكرب الكندي » :
تطـوف العفـاة بأبـوابه كطوف النصـارى ببيت الوثن
ديوان الاعشى (١٩) ، اللسان (١٧/٣٣٤) ، (ونن) .

٣ ومـا أيبـلى عـلى هيـكل بنـاه وصلب فيـه وصـارا
ديوان الاعشى (٤٠) ، النصرانية (٢٠٤) ، بروكلمان ، تاريـخ الادب العـربى (١/١٤٧ وما بعدها) .

٤ ربـي كريـم لا يـكدر نعمـة فاذا تنوشد في المهـارق أنشدا
النصرانية (١٦٢) .

٥ وذا النصب المنصوب لا تسكننه ولا تعبـد الأوثان ، والله فاعبدا
النصرانية (١٥٩) .

٦ ولـكن ربي كفـى غربتـي بحمـد الاله فقـد بلغـن
ديوان الأعسى (١٧) .

وان الانسان عبده[1] . وان الفناء واقع على كل امرىء ، وليس أحد في هذه الدنيا بخالد ، ولو كان الخلود لأحد لكان لسليمان[2] . وفيه حديث عن البعث والحساب يوم الدين .

ونجد في شعره معرفة بنوح وبسفينته ، أشار الى نوحٍ في مدحه إياساً حيث خاطبه بقوله :

جزى الإلـه إياساً خـير نعمته كما جزى المرء نوحاً بعدما شابا
في فلكه إذْ تبداها ليصنعهـا وظلّ يجمع ألواحـاً وأبوابا[3]

فهل أخذ الأعشى رأيه هذا عن نوح من أهل الحيرة ؟ وهل كان في ذلك قاصداً متحدثاً مخاطباً رجلاً نصرانياً يعرف الحكاية والموضوع ؟ أو كان متحدثاً عن نوح حديث من يـدين به ويعتقد ، فهو رأيه ودينه . الواقع أن البت في ذلك أمر لا أراه ممكناً ما لم تتجمع لنا موارد تأريخية كثيرة ، ليتمكن المرء من استنتاج رأي واضح في أمثال هذه الموضوعات المعقدة ، التي لم تدرس مظانهـا المدوّنة ، ولم تنتقد حتى الآن .

وقد ذهب (كاسكل) « Caskel » إلى ان (الأعشى) كان نصرانياً . وذهب الأب (شيخو) هذا المذهب أيضاً ، وجوّز (بروكلمن) تنصره ، لكنه ذهب إلى انه لم يكن متعمقاً في النصرانية[4] . وقد استدل (كاسكل) على نصرانيته من بيتين في ديوانه ، ومن بيت آخر ورد في قصيدة أخرى ، لا يمكن في الواقع ان يكون دليلاً على نصرانية قائله[5] .

وذكر انه كان قدرياً ، روى روايته (يحيى بن متى) وهو من عباد الحيرة ،

---

١ فأقسم بالـــذي أنا أعبـده لتصطفقن يومـا عليـك المآتم
ديوان الأعشى (٥٨) .

٢ ولو كان شيء خـــالدا ومعمرا لكان سـليمان البريء من الدهر
رآه الهـــي فاصـــطفاه عبادة وملـكه ما بين ثـريا الى مصـــر
وسخر من جـن الملائـكة تسعة قياما لديـه يعمـلون بلا أجـــر
ديوان الأعسى (٢٤٣) .

٣ شعراء النصرانية (٣٨٩) ، النصرانية (٢٦١) .

٤ تأريخ الادب العربي لبروكلمن (١٤٧/١ وما بعدها) .

٥ انظر البيتين ١٢ ــ ١٣ من القصيدة رقم ٣٤ بديوانه ، والبيت ٩ من القصيدة ١٣ بالديوان ، بروكلمن ، تأريخ الادب العربي (١٤٧/١) ، الترجمة العربية) .

انه أخذ مذهبه هذا في القدر من العباديين نصارى الحيرة ، كان يأتيهم يشتري منهم الخمر ، فلقنوه ذلك . وقد استشهدوا على قوله هذا في القدر بهذا البيت:

استأثر الله بالوفاء وبالعد ل وولى الملامة الرجلا[1]

وقد راجعت شعر (الأعشى) ، فلم أتمكن من استنباط شيء منه يدلني على مقدار علمه بالنصرانية وعلى مدى تعمقه أو تعمق غيره من النصارى بدينهم . فما ذكره مما له علاقة بالنصرانية ، هو شيء عام ، يأتي بخاطر كل شاعر ذكي جوّاب في الآفاق ، له احتكاك واتصال بالنصارى أو بغيرهم ، وهو لا يصلح ان يكون دليلاً على عقيدة ودين وفهم لذلك الدين .

وفي شعر (الجعدي) كلام عن سفينة نوح ، ذكر أنه قال :

يَرْفعُ ، بالقار والحديد من الـ ـجوز ، طوالاً جذوعها ، عُمما[2]

والنابغة الجعدي ، مخضرم ، يقال إنه كان مثل الحنفاء ، أنكر الخمر والميسر ، وهجر الأزلام والأوثان . وكان ممن فكر في الجاهلية ، وأنكر الخمر والسكر ، وهجر الأزلام واجتنب الأوثان ، وذكر دين ابراهيم . وقد لقي الرسول ، وأسلم وأنشده من شعره . وذكر أنه هو القائل القصيدة التي فيها :

الحمد لله ربي لا شريك له من لم يقلهـا فنفسه ظلـما

على نحو شعر أمية بن أبي الصلت ، وقد قيل إنها لأميّة ، لكن صححها حمّاد الراوية[3] .

ونجد في شعر آخرين من غير من ذكرت ألفاظاً وكلمات كانت معروفة عند النصارى وإشارات إلى عباداتهم وعاداتهم ، وردت في شعر (النابغة الذبياني) ولبيد ، وامرىء القيس ، وأوس بن حجر وآخرين غيرهم ممن طافوا في الأرضين وارتحلوا فوقفوا على بعض أحوال النصارى فأشاروا اليها في شعرهم .

---

١ الأغاني (٨/٧٩) ، بالبيو (١٧) .
٢ اللسان (١٢/٤٢٥) ، (عمم) .
٣ الاصابة ٣/٥٠٨) ، (رقم ٨٦٤١) ، أمالي المرتضى (١/٢٦٣ وما بعدها) ، المرزباني (٣٢١) .

ونجد في شعر (الأفوه الأودي) ، وهو صلاءة بن عمرو ، تسجيلاً لأبنـاء نوح . سجلهم مع من سجل أسماءهم من ملوك التبابعـة ممن دانت لهم الأنام ، فنجده يقول :

ولما يعصها سام وحـام ويافث حيثما حلت ولام[1]

ولا أدري إذا كان هذا البيت من نظم شاعر جاهلي ، هو الأودي ، أو من نظم شخص آخر نظمه على لسانه في الاسلام . ولكني لا أستبعد بالطبع أن يكون خبر أولاد نوح الثلاثـة . وهم : سام ويافث وحام ، قد عرف عنـد العرب النصارى وعند من كان على احتكاك واتصال بهم .

ونجد في بيت شعر ينسب لأفنون التغلبي ذكـراً لولد آدم[2] . وورود آدم في هذا البيت ، إن صح انه من شعر ذلك الشاعر الجاهلي ، دليل على وقوف هذا الشاعر على قصة آدم وانحدار البشر من نسله . ولا يستبعد ان يكون اذن قد وقف عليها باختلاطه ببني قومه تغلب ، وقد كان قسم كبير منهم قد دخلوا في النصرانية. ولا يستبعد أيضاً ان يكون بعض الوثنيين قد وقفوا أيضاً على قصة الخلق كما وردت في الديانتين من اختلاطهم بأهل الكتاب واتصال بهم .

وقد وردت ، في بيت آخر من قصيدة يقال انه قالها في رثاء نفسه ، لفظة (الله) في شكل يفهم منه انه كان يدين بالتوحيد ، وان الآجال كلها بيد الله[3] ، وأشار في بيت آخر إلى عاد وإرم ولقمان وجدن[4] .

وأشير في أشعار بعض الجاهليين الى تعبد النصارى وصلواتهم سجداً وقياماً، وهؤلاء الذين أشير اليهم من الرهبان والناسكين الذين كانوا قد اعتكفوا في الصوامع وفي

---

١ النصرانية (٢٦٦) ، عن الافوه الأودي راجع الاغاني (٤١/١١ وما بعدها) ، ابن قتيبة ، الشعر (١١٠) ، ديوان الأفوه ، (القاهرة ١٩٣٧) ، (تحقيق عبد العزيز الميمنى) .

٢ فد كنت أسبق من جاروا على مهل من ولـد آدم ما لم يخلعـوا رسني
المفضليات (٥٢٤) ، النصرانية (٢٦١) ، شعراء النصرانية (١٩٣) .

٣ لعمرك ما يدري امرؤ كيف يتقي اذا هو لم يجعـل له اللـه واقيا
شعراء النصرانية (١٩٣) .

٤ لو أنني كنت من عـاد ومن ارم ربيت فيهم ومن لقمـان أو حدن
شعراء النصرانية (١٩٣) .

البيع والأديرة النائية يعبدون الله ، ويدعون إلى الرب تقرباً وخشية[1] ، ومنهم من ترك السجود أثراً في جباههم . وقد أطلقوا على صلواتهم هذه اسم (الصلاة). وهي من الألفاظ التي أخذها أولئك النصارى من (بني إرم) ؛ وعرفت المواضع التي كانوا يسجدون فيها بالمساجد ، والمسجد هو الموضع الذي يتعبد فيه[2] .

وقد كان الركوع من العادات المعروفة عند الأحناف والنصارى[3] ، و «كانت العرب في الجاهلية تسمى الحنيف راكعاً إذا لم يعبد الأوثان ، ويقولون : ركع الى الله »[4] . وأما إحناء الرؤوس ، فكان للتعظيم ، ولذلك حنوا رؤوسهم في الكنائس ولرؤسائهم على سبيل الاحترام والتعظيم[5] . وقد كانوا يبجلون رؤوسهم وسادتهم كثيراً ، ولذلك نزل الوحي بتأنيبهم وتقريعهم ، إذ جعلهم هذا الاحترام في مصاف الآلهة والأرباب .

وتلحق بالصلاة التسابيح ، أي ذكر الله وتقديس اسمه ، وقد كان من عادة الرهبان التسبيح بعد الصلاة ، ولا سيما في الضحى والعشي[6] .

---

١ قال منظور الأسدي :

كأن مهواه على الكلكل ... موقع كفي راحب يصلي
في غبش الصبح أو النسلي

الألفاظ ، لابن السكيت (٤١٢) ، النصرانية (١٧٧) .

وقال البعيث :

على ظهر عادي كأن أرومه ... رجال يلون الصلاة قيام

تاج العروس (٥٣/١٠) ، اللسان (١١١/١٨) ، وقال الأعشى :

لها حارس لا يبرح الدهر بينها ... وان ذبحت صلى عليها وزمزما
ببابل لم تعصر فسالت سلافة ... تخالط فنديدا ومسكا مختما

وقال المضرس الأسدي :

وسخال ساجية العيون خواذل ... بجماد لبنة كالنصارى السجد

النصرانية (١٧٧) .

٢ اللسان (١٨٧/٥) ، (سجد) .

٣ النصرانية (١٧٨) .

٤ تاج العروس (٣٦٣/٥) .

٥ قال النابغة الذبياني :

سيبلغ عذرا أو نجاحا من امرىء ... الى ربه رب البرية راكع

النصرانية (١٧٨) .

٦ قال أمية بن أبي الصلت :

سبحانه ثم سبحانا بعود له ... وقبلنا سبح الجودي والجسد

وقال الأعشى :

وسبح على حين العشيات والضحى ... ولا تعبد الشيطان والله فاعبدا

تاج العروس (١٥٧/٢) ، (سبح) ، اللسان (٢١٠/٣) ، النصرانية (١٧٨) .

وقد كان رجال الدين ، ولا سيما الرهبان منهم ، يقومون بالفروض الدينية فرادى وجماعة ، فيرتلون المزامير والأدعية بنغمات وألحان شجية . وقد عرف ترتيل القسيسين (الهينم) ، وذلك في حالة النغم بخفوت الصوت[1] . وإذا طرّب القس في صوته خفياً قيل لذلك (الزمزمة)[2] . أما إذا تغنى ، فيقال لذلك الشمعلة . وقد قيل للمتغنين في تلاوة الزبور (المتشمعل) . وورد : « شمعلة اليهود : قراءتهم ، إذا اجتمعوا في فهرهم »[3] . وأما إذا أطلق صوته بالدعاء فيقال لذلك الجأر[4] . واللحون من الكلمات التي أطلقت على ترتيل أهل الكتاب لكتبهم المقدسة. فقد كانوا يقرؤون التوراة والانجيل في المحافل باللحن . وقد أشير الى ذلك في بعض الأحاديث[5] . أما إذا ردد الشخص نغمات الانجيل في حلقه ، فكانوا يقولون له الترجيع ، ومنه قولهم : رجع الانجيل[6] .

و (التصبيغ) من الألفاظ التي كانت تدل على معنى خاص عند النصارى ، هو التعميد . وقد عرفه الجاهليون . وذكر علماء اللغة ان الصبغة الدين والملة والشريعة والفطرة والختانة . « اختتن ابراهيم ، صلوات الله عليه ، فهي الصبغة .

---

١ « الهينمة : الصوت . وهو شبه قراءة غير بينة » . وأنشد لرؤبة :
لم يسمع الركب بها رجع الكلم الا وساويس هيانيم الهنم
وفي حديث اسلام عمر ، رضي الله عنه . قال : ما هذه الهينمة ؟ قال أبو عبيدة : الهينمة : الكلام الخفي لا يفهم ... وفي حديث الطفيل بن عمرو : هينم في المقام . أي قرأ فيه قراءة خفية . وقال الليث :
ألا يا قيل ويحك قم فهينم
أي فادع الله » ، اللسان (١٠٨/١٦) ، تاج العروس (١١١/٩) .

٢ « قال الجوهري : الزمزمة كلام المجوس عند أكلهم . وفي حديث عمر ، رضي الله عنه ، كتب الى أحد عماله في أمر المجوس : وانههم عن الزمزمة . قال : هو كلام يقولونه عند أكلهم بصوت خفي . وفي حديث قباث بن أشيم : والذي بعثك بالحق ما تحرك به لساني ولا تزمزمت به شفتاي . الزمزمة : صوت خفي لا يكاد يفهم »، اللسان (١٦٥/١٥) .

٣ تاج العروس (٣٩٩/٧) ، (اشمعل) .

٤ « جأر يجأر جأرا وجؤارا : رفع صوته مع تضرع واستغاثة ... وقال ثعلب : هو رفع الصوت اليه بالدعاء . وجأر الرجل الى الله عز وجل اذا تضرع بالدعاء . وفي الحديث : كأني أنظر الى موسى له جؤار الى ربه بالتلبية . ومنه الحديث الآخر : لخرجنم الى الصعدات تجأرون الى الله » ، اللسان (١٨١/٥) .

٥ النهاية في غريب الحديث (٥٧/٤) ، معجمات (٤٢ وما بعدها) ، تاج العروس (٣٣٠/٩) ، اللسان (٢٦٣/١٧) .

٦ اللسان (١٧٢/٩) ، النصرانية (٣٥٦) .

فجرت الصبغة على الختانة . وصبـــغ الذمي ولده في اليهودية أو النصرانية صبغة قبيحة ، أدخله فيها »[1] . و « كانت النصارى تغمس أبناءها في ماء المعمودية ينصرونهم »[2] . وقد صالح عمرُ بني تغلبَ بعدما قطعوا الفرات قاصدين اللحاق بأرض الروم ، على ألا يصبغوا صبياً ولا يكرهوه على دينهم ، وعلى ان عليهم الصدقة مضعفة[3] . وعرفوا (المعمودية) بقولهم : « لفظ معمودية معرب معموذيت بالذال المعجمة ، ومعناها الطهارة . وهو ماء أصفر للنصارى يقدس بما يتلى عليه من الانجيل ، يغمسون فيه ولدهم معتقدين انه تطهير له كالختان لغيرهم »[4] .

وقد كان نصارى الجاهلية يعمّدون أولادهم ، يأخذونهم أطفالاً الى الكنائس لتعميدهم على نحو ما يفعل سائر النصارى . وقد قيل له : التغميس والتصبيغ[5] .

والصوم من الأحكام الدينية المعروفة عند اليهود والنصارى ، وقد أشير اليـــه في شعر لأمية بن أبـي الصلت وفي بيت ينسب الى النمر بن تولب[6] . وقد عرف أهل الجاهلية ان اليهود كانوا يصومون . وقد أشير الى صومهم في عاشوراء في اثناء الكلام على فرض الصوم على المسلمين بصيامهم شهر رمضان . ولا بد ان يكون للجاهليين علم بصوم النصارى كذلك ، وذلك نتيجة لاتصالهم بهم واختلاطهم معهم .

ومن المصطلحات النصرانية (الحواريون) ، وقصد بها رسل المسيح . وقـــد وردت اللفظة في مواضع من القرآن الكريم[7] . ووردت لفظة (الحواري) في بيت ينسب الى (ضابىء بن الحارث بن أرطاة البرجمي)[8] . وقد رجّح بعض الباحثين

---

١ تاج العروس (١٩/٦) ، (صبغ) .
٢ المصدر المذكور .
٣ « قال الأزهري : وسمعت النصارى عمسهم أولادهم في الماء صبغا ، لعمسهم اياهم فيه » ، اللسان (٣١٩/١٠) ، فتوح البلدان (١٩٠) .
٤ تاج العروس (٤٣٢/٢) ، (عمد) .
٥ السنن الكبرى (٢١٦/٩) ، « ومنه صبغ النصارى أولادهم في ماء لهم . قال الفراء : انما قيل صبغة لأن بعض النصارى كانوا اذا ولد المولود جعلوه في ماء لهم كالتطهير . فيقولون هذا تطهير له كالختانة » ، اللسان (٣٢٠/١٠) .
٦ صدت كما صد عما لا يحـــل له ساقي نصاري قبيل الصبح صوام
النصرانية (١٧٩) .
٧ آل عمران ، الآية ٥٢ ، المائدة الآية ١١٤ وما بعدها ، الصف ، الآية ١٤ .
٨ وكر كما كر الحـــواري يبتغـــي الى الله زلفـــى أن يـــكر فيفتلا
المسرق ، المجلد ١٩٢٩ (ص ٥٧٥ وما بعدها) ، النصرانية (١٨٩) .

أصل هذه اللفظة الى لغة بني إرم ورجعها اللغويون الى أصل عربي هو (حور)، وذهب آخرون الى أنها من أصل حبشي[1] .

والصليب ، من أهم المصطلحات المعروفة عند النصارى ، لاعتقادهم بصلب المسيح عليه ، حتى صار رمزاً للنصرانية . وصاروا يعلقونه على أعناقهم تبركاً وتيمناً به ، وينصبونه فوق مناثر كنائسهم وقبابها ، ليكون علامة على متعبد النصارى . وقد أقسموا به . وقد عرف المسلمون تمسك النصارى به ، واتخاذهم له شعاراً ، حتى كان بعضهم يرسمه على جبهته ، وكانوا يلثمونه ويتمسحون به تبركاً ، ويزينون صدورهم به[2] .

وذكر علماء اللغة (الشبر) على أنه من المصطلحات الشائعة بين النصارى . وهو على حدّ تعريفهم له : « شيء يتعاطاه النصارى بعضهم لبعض كالقربان، يتقربون به ، أو القربان بعينه » . وذكروا أيضاً أن (الشبر) الانجيل والعطية والخير . ومن ذلك قول عديّ :

لم أخنه والذي أعطى الشبر[3]

ويظهر من كتب الحديث ان أهل الكتاب كانوا يخالفون المشركين في بعض عاداتهم ، كالذي ورد عن عبدالله بن عباس من « ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يسدل شعره ، وكان المشركون يفرقون رؤوسهم ، وكان أهل الكتاب يسدلون رؤوسهم . وكان النبي ، صلى الله عليه وسلم ، يحب موافقة أهل الكتاب

---

١ المشرق ، السنة السابعة ١٩٠٤ (٦٢٠) ، النصرانية (١٨٩) ، معجميات (١٣٩) .

٢ قال الأخطل :

لما رأونا والصليب طالعا ... خلوا لنا راذان والمزارعا

ديوان الأخطل (٣٠٩) . وقال حجار بن أبجر :

هددني عجل وما خلت انني ... خلاة لعجل والصليب لها بعل

الأغاني (١٣/٤٧) . وقال الأقيشر :

في فتية جعلوا الصليب الههم ... حاشاي اني مسلم معذور

النصرانية (٢٠٤) .

ونسم الى عبد المطلب بن هاشم قوله :

لا يغلبن صليبهم ... ومحالهم ، عدوا ، محالك

اللسان (١١/٦١٩) ، (محل) .

٣ تاج العروس (٣/٢٨٩) ، (شبر) .

فيما لم يؤمر فيه بشيء . ثم فرق النبي صلى الله عليه وسلم رأسه »[1] . وكالذي ورد من ان أهل الكتاب كانوا يخالفون الجاهليين في كيفية التحيـة عند ملاقاة أحدهم الآخر ، وان الرسول أقر المصافحة .

وقد أطلقت لفظة (المصاحف) في شعر ينسب الى امرىء القيس على أسفار النصارى ، وهو قوله : « كخطّ زبور في مصاحف رهبان »[2] . والكلمة على رأي بعض علماء الساميات والنصرانيات من أصل حبشي ، ومفردها (مصحف)[3] . وصحف بمعنى كتب . وقد وردت لفظة (صحيفة) في بيت ينسب الى (لقيط الإيادي)[4] .

والمجلة من الألفاظ المعروفة بين الجاهليين . وقد اشتهرت في العربية باقترانها باسم (لقمان) ، فقيل : « مجلة لقمان »[5] . وأطلقت عند العبرانيين على أسفار الكتاب المقدس على سبيل التخصيص أحياناً وعلى باب التعميم في بعض الأحيان[6] . وقد وردت في شعر للنابغة ، هو :

مجلتهم ذات الإلـه ودينهم قويم فما يرجون غيرَ العواقب[7]

وقصد بها كتاب النصارى ، فقد مدح به الغساسنة . وهم على دين المسيح .

وقصد بالسفر وبالأسفار الكتاب والكتب من التوراة والإنجيل ، وكلمة (سفر) بمعنى كتاب[8] . وكانت النصارى تقرأ كتبها من الصحف[9] ، وتفسر للمستمعين ما جاء فيها من مشكل .

ولفظة (جهنم) من الألفـاظ المعروفة عند اليهود والنصارى . وهي تعني

---

١ عمدة القارىء (١٧/٧١) .
٢ أتت حجج بعدى عليه فأصبحت كخط زبور في مصـاحف رهبان
العقد النمين (١٦١) .
٣ النصرانية (١٨١) .
٤ كتاب في الصحيفـة من لقيط الى مـن بالجزيـرة من ايـاد
الأغاني (٢٠/٣٤) ، النصرانية (١٨١) .
٥ النصرانية (١٨١) .
٦ معجميات (١٦٧ وما بعدها) .
٧ « محلتهم » في بعض الروايات ، ديوان النابغة (٨) .
٨ اللسان (٦/٣٥) ، الاشنقاق (١٠٣) ، النصرانية (١٨) .
٩ النهاية (٤/١٣٦) .

الموضع الذي يكون فيه العذاب بعد الحشر ، فيخلد فيه أصحاب الآثام والمعصية. واللفظة من أصل عبراني على رأي المستشرقين وعلماء الساميّات هو (جحينوم) (جهينوم) « Gehinnom » ، أي (وادي حينوم) « Hinnom »[1] . وهو وادٍ يدور حول القدس نحو أربعة كيلومترات، ويعرف اليوم باسم (وادي الربابي)، وقد كان اليهود الوثنيون يقربون في موضع منه يسمى (توفيث) « Topheth »، الصبيان قرابين للإلـه (ملوخ) « Molech » = « Moloch » ، يقدمونها ذبائح محروقة إكراماً لـــه ، ثم صار هذا الموضع محلاً ترمى فيه أقذار المدينة وجثث الحيوانات ، وتحرق هناك لئلا تنتشر منها الأوبئة ، وصار الموضع رمزاً للجحيم ، ومنه أخذت لفظة (جهنه) « Gehenna » التي هي جهنم[2] ، الموضع الذي يعاقب فيه المجرمون بعد الموت . وهو موضع يقع تحت الأرض ، واسع جداً ، وأكبر حجماً من الأرض . يلقى فيه الآثمون جزاء إثمهم في الدنيا ومخالفتهم شريعة الرب. فيبقون فيه يعذبون . وقد اختلف في موضوع أبدية التعذيب وبقاء وجهنم ، فمنهم من رأى أن جهنم خالدة ، وأن العذاب أبدي ، ومنهم من ذهب الى أنها ترفع بعد انتهاء التعذيب[3] .

وقد وردت لفظة جهنم في مواضع متعددة من شعـر أمية بن أبـي الصلت ، كما ورد فيه وصفها وكيفية التعذيب فيها[4] . ولمعرفة أصل هذا الشعر : هل هو

---

١ Ency., I, p. 998, Shorter Ency., p. 81.

٢ Hastings, p. 285.

٣ متى ، الاصحاح الخامس ، الآية ٢٩ ، الاصحاح العاشر ، الآية ٢٨ ، Hastings, p. 285.

٤ « ورد في تأريخ دمشق لابن عساكر (١٢٤/٣) : قال عبدالله بن مسلم الدينوري : سئلت هل وجدتم لجهنم ذكرا في الشعر القديم ، فقلت : هذا يحتاج الى تتبـــع وطلب . وقد أتذكر فلم أذكر الا شيئا وجدته في شعر أمية بن أبي الصلت ، فانه قال :

فلا تدنو جهنـــم من بـريء ولا عـــدن يطالعهـا أثيـــم
اذا شبت جهنـــم ثم وارت وأعرض عن فوانسهـا الجحيم

وروى البيت في المخصص (٦/٩) :

جهنـــم لا تبقـــى بغيـــا وعـــدن لا يطالعهـا رجيـــم

وذكر للعديل بن الفرخ (ياقوت ١١٧/٤) قوله في نار جهنم وجنة الخلد :

أما ترهبان الدار في ابني أبيكما ولا ترجوان الله في جنـة الخلد

وقد ورد اسم جهنام في شعر الأعشى . قال (التاج ٣٧٢/٧) :

دعوت خليـلي مسحلا ودعوا له جهنام جدعا للهجين المذمـم » ،

النصرانية (٤٦٢ وما بعدها) .

من شعر أمية حقاً ، أو من شعر آخرين وضعوه على لسانه ، لا بد من دراسته ومقارنته بما جاء في الاسلام عن وصف جهنم وكيفية التعذيب فيها . وهناك رواية تنفي ورود لفظة جهنم في أي شعر جاهلي خلا هذا الشعر المنسوب الى أمية بن أبي الصلت ، ويلاحظ انه ذكر (عدن) مع جهنم .

ولم أجد في أشعار الجاهليين ذكراً للانجيل ، إلا في الشعر المنسوب الى (عدي بن زيد العبادي)[1] . وربما في شعر عدد قليل آخر من الجاهليين ، لم أقف عليه . غير ان عدم ورود اللفظة كثيراً في هذا الشعر ، لا يدل على عدم معرفة الجاهليين لها ، ودليلنا على ذلك ورودها في مواضع من القرآن الكريم . وورودها فيه دليل على وقوف الجاهليين عليها واستعمالهم اياها ، وأصلها من اليونانية ، وقد وقف العرب عليها من السريانية أو من الحبشية[2] . وقد ذكرت فيما سبق ان نفراً من أهل الكتاب كانوا قد أقاموا بمكة وكانوا يقرأون التوراة والانجيل بألسنتهم ، فلا يستبعد اذن وقوف بعض الجاهليين ، ولا سيما المثقفين منهم وأصحاب التجارات الذين كانوا يقصدون الحيرة وبلاد الشأم ونجران للتجارة وكان لهم اتصال وثيق بنصارى هذه الأرضين على الانجيل وعلى الكتب الأخرى التي كان يستعملها رجال الكنيسة لافهام الناس أمور الدين .

ويظهر من بعض روايات الأخباريين أن بعض أهل الجاهلية كانوا قد اطلعوا على التوراة والانجيل ، وأنهم وقفوا على ترجمات عربية للكتابين . أو أن هذا الفريق كان قد عرب بنفسه الكتابين كلاً أو بعضاً ، ووقف على ما كان عند أهل الكتاب من كتب في الدين . فذكروا مثلاً أن (ورقة بن نوفل) « كان يكتب الكتاب العبراني ، ويكتب من الانجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب » : وقالوا : « وكان امرؤ تنصر في الجاهلية ، وكان يكتب الكتاب العربي، ويكتب من الانجيل بالعربية ما شاء الله أن يكتب »[3] . وذكروا مثل ذلك عن (أمية بن أبي الصلت) ، فقالوا إنه كان قد قرأ الكتب المقدسة[4] ، وقالوا مثل ذلك عن عدد من الأحناف .

---

١ وأوتينا الملك والانجيل نقرؤه بشعي بحكمنه أحلامنا عللا
الحيوان (٤/٦٤) ، النصرانية (١٨٥) .

٢ اللسان (١٣/١٧١) ، النصرانية (١٨٥) Shorter Ency., p. 168.

٣ راجع ما كتبته عنه في فصل الأحناف ، Sprenger, Leben, I, S. 128.

٤ ابن قتيبة ، الشعر والشعراء (١٧٦) .

وإذا كانت هذه الروايات صحيحة ، فإنها تدل على أن الجاهليين كانوا قد وقفوا على ترجمة العهدين . ويرى بعض المستشرقين احتمال ترجمة العرب للكتاب المقدس قبل الاسلام وعند ظهوره، ترجمة من اليونانية على الأرجح . وقد استندوا في ذلك الى خبر ذكره (ابن العبري) « Barkebraeus » يفيد أن البطريق (المنوفيزيتي) المدعو (يوحنا) « Monophysite Patriarch Johannes » كان قد ترجم الكتاب المقدس الى أمير عربي اسمه (عمرو بن سعد) ، وذلك بين سنتي (٦٣١) و (٦٤٠) للميلاد ، والى أخبار أخرى تفيد أن بعض رجال الدين في العراق كانوا قد ترجموه الى العربية وذلك قبيل الاسلام وعند ظهوره[1].

ولا يستبعد وجود ترجمات للكتاب المقدس في الحيرة ، لما عرف عنها من تقدم في الثقافة وفي التعليم ، ولوجود النصارى المتعلمين فيها بكثرة . وقد وجد المسلمون فيها حينما دخلوها عدداً من الأطفال يتعلمون القراءة والكتابة وتدوين الأناجيل ، وقد برز نفر منهم ، وظهروا في علوم اللاهوت ، وتولوا مناصب عالية في سلك الكهنوت في مواضع أخرى من العراق ، فلا غرابة اذا ما قام هؤلاء بتفسير الأناجيل وشرحها للناس للوقوف عليها . وقد لا يستبعد تدوينهم لتفاسيرها أو لترجمتها ، لتكون في متناول الأيدي ، ولا سيما بالنسبة الى طلاب العلم المبتدئين . وقد لا يستبعد أيضاً توزيع بعض هذه الترجمات والتفاسير الى مواضع أخرى لقراءتها على الوثنيين وعلى النصارى للتبشير[2] .

ونجد في كتب الأخباريين وفي كتب قصص الأنبياء وفي الفصول المدونة عن الماضين قصصاً وأمثلة وكلاماً يرجع أصله الى بعض أسفار التوراة او الى الأناجيل، غير اننا لا نستطيع ان نؤكد ان هذا المدون قد نقل عن الجاهليين ، وان أهل الجاهلية كانوا يعرفونه ، وانه ليس مما قصه أهل الكتاب أو مسلمة أهل الكتاب مثل كعب الأحبار ووهب بن منبه على المسلمين ، فدخل بينهم . ثم إن القصص أكثره من (التلمود) و (المشنا) والكتب غير القانونية ، روي بشكل فيه بُعْدٌ في بعض الأحيان عن هذا المدون المعروف ، وهو يفيدنا من هذه الناحية كثيراً في الحكم على مدى معرفة العرب بعلم أهل الكتاب .

---

١ Sprenger, I, S. 131.

٢ Ency., II, p. 504.

وللأسماء أهمية كبيرة في تعيين مبلغ أثر اليهودية والنصرانية في الجاهليين . وإذا كانت أسماء الوثنيين قد ساعدت (ولهوزن) في الكشف عن أسماء أصنام وأوثان لم ترد في كتاب الأصنام لابن الكلبي ولا في كتب الأخباريين الأخرى، وساعدت في الكشف عن مدى تغلغل الوثنية في نفوس أهل الجاهلية ، فإن للأسماء اليهودية أو الأسماء النصرانية التي تسمى بها أهل الجاهلية والتي وصل خبرها الينا أهمية كبيرة في الافصاح عن مدى تأثر الجاهليين بالديانتين . وليس من اللازم أن تكون هذه الأسماء أسماء أناس كانوا على دين يهود ، أو على دين النصرانية ، فالأسماء وإن كان لها ارتباط في الغالب بأديان حامليها غير أنها لا تكون دائماً دليلاً على دين أصحابها ، فللبيئة ولبعض العادات والاعتقادات دخل في اختيار الأسماء . وعلى ذلك فإن ما سنذكره من أسماء لا نذكرها على أن أصحابها كانوا يهوداً أو نصارى حتماً ، وإنما نذكرها على سبيل الإشارة الى أن بعض الجاهليين كانوا يحملون أسماء هي في الغالب من اسماء اليهود والنصارى .

وفي طليعة هذه الأسماء التي يجب ان نذكرها ، الأسماء الواردة في التوراة والانجيل ، فهي أسماء عبرانية ونصرانية معروفة ، وبها تسمى كثير من اليهود والنصارى . ودخولها بين الجاهليين العرب دليل على وجود بعض تلك المسميات بينهم ، وتسمّى أهل الجاهلية بتلك الأسماء .

ومن جملة تلك الأسماء : آدم وقد دعي به آدم بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب . قُتل في الجاهلية ، وهو الذي وضع النبي دمه يوم فتح مكة . وقد جاء (ابن دريد) بتفسير لهذه التسمية فذكر انها من الأدمة أو بمعنى الطويل القامة ذي العنق الناصع ، ولم يشر الى وجود علاقة لها باسم آدم أبي البشر[1] . غير أني لا أستبعد احتمال أخذها من التسميات التي كانت بين اليهود أو النصارى عند الجاهليين . غير اننا لا نعرف من أمثال هذه التسميات غير عدد قليل محدود بحيث لا يمكن ان نتخذها قاعدة لبناء حكم عليها في ورود هذه التسمية عند الجاهليين .

وأكثر من هذه التسمية شيوعاً اسم (ابراهيم) ، ومن جملة من تسمى بها: ابراهيم جدّ عدي بن زيد بن حمّان بن زيد بن أيوب من بني امرىء القيس بن زيد مناة بن تميم . فولد أيوب ابراهيم وسلم وثعلبة وزيد . منهم عدي بن زيد

---

١ الاشتقاق (٤٤) ، النصرانية (٢٢٨) .

ابن حمان بن زيد بن أيوب بن مجروف الشاعر . ومنهم مقاتل بن حسان بن ثعلبة ابن أوس بن ابراهيم بن أيوب ، الذي نسب اليه قصر مقاتل . وقال ابن الكلبي : لا أعرف في الجاهليـــة من العرب أيوب وابراهيم غير هذين ، وإنما سمّيا بهذين الإسمين للنصرانية [1] .

وممن سمّي بابراهيم : ابراهيم بن كُتيف النبهاني ، وهو شاعر قديم،وابراهيم الأشهلي ، وابراهيم بن الحارث بن خالد التيمي القرشي، وأبو رافع ابراهيم القبطي، وهو من موالي الرسول ، وابراهيم بن عبّـــاد الأوسي ، وابراهيم بن قيس بن حجر بن معديكرب الكندي ،وابراهيم النجّار وهو الذي صنع المنبر لرسول الله . وأكثر هـــؤلاء هم من الذين عاصروا الرسول وكانوا من صحابته[2] . ويجب ألا ننسى أن الرسول سمّى ابنه الذي توفي صغيراً في حياته ابراهيم[3] .

وعرف من الصحابة رجل اسمه (إسحاق الغَنَوي)[4] ، وعرف ثلاثة صحابيين باسم (اسماعيل)[5] . وأما (أيوب) ، فقد عرف به (أيوب بن مجروف) جد عدي بن زيد العبادي ، وأيوب بن مكرز ، كما تكنى به أبو أيوب خالد ابن زيد الأنصاري من الصحابة ، وهو الذي نزل عليـــه الرسول يوم مقدمه الى يثرب مهاجراً من مكة [6] .

واسم (داوود) من الأسماء التي وردت في جملة أسماء ملوك بني سليح ، فذكر منهم (داوود اللثق)[7] . وأظن ان لفظة (دؤاد) التي كني بها الشاعر الجاهلي أبو دؤاد الإيادي هي من داوود[8] ، وإنْ ذهب المفسرون فيها مذهباً آخر فقالوا انهـــا من الدُود والدوادة والدودة وأمثـــال ذلك[9] . وعرف شاعر آخـــر باسم

---

١ تاج العروس (١/١٥١) ، (أوب) ، النصرانية (٢٢٩) .
٢ أسد الغابة (١/٤٠ وما بعدها) ، الاصابة (١/٢٥ وما بعدها) ، النصرانية (٣٢٩) .
٣ ابن هشام (١/٢٠٦) .
٤ أسد الغابة (١/٦٨) ، الاصابة (١/٤٧) ، (رقم ٩٤) ، النصرانية (٢٢٩) .
٥ أسد الغابة (١/٧٩) ، الاصابة (١/٥٥ وما بعدها) ، النصرانية (٢٣٠) .
٦ ابن هشام (٢/٦٦ ، ١٢٥ ، ١٤٤ ، ١٥٠ ، ٣٠٥) ، (٣/٣٤٧ ، ٣٩٢) ، الاشتقاق (٢٦٦) .
٧ الاشتقاق (٣١٩) ، النصرانية (٥٣٢) .
٨ النصرانية (٢٣٢) .
٩ الاشتقاق (١٠٤) .

داوود بن حمل الهمداني[1] ، ومن الأنصار رجل اسمه داوود بن بلال[2] وصحابي اسمه داوود بن سلمة الأنصاري[3] .

وقد عرف داوود في الشعر الجاهلي بنسجه الدروع حتى ضربت بدروعه عندهم المثل . وهي في نظرهم دروع قوية ممتازة ، صنعها من الحديد الذي كان يلين بين يديه[4] . وقد تكرر ورود ذلك في أشعار جملة شعراء ، مما يدل على انها كانت معروفة بين الجاهليين مشهورة . هذا ولا بد ان يكون لذلك أصل بعيد ظهر من قصص بني اسرائيل عن داوود وعن ملكه وحروبه وتغلبه على خصومه. هذا القصص الذي جعل من داوود رجلاً لا يستطاع التغلب عليه بفضل الحديد الذي لان بين يديه ، فصار دروعاً لا تمضي فيه سيوف المقاتلين .

---

١ النصرانية (٢٣٢) .

٢ أسد الغابة (١٢٩/٢) ، الاصابة (٤٦٣/١) ، (رقم ٢٢٨٧ و ٢٢٨٨) ، الاصابة (١٦٩/٤) ، (٩٨٨) .

٣ الاصابة (٤٦٣/١) .

٤ قال طرفة :

وهم ما هم اذا ما لبسوا نسج داوود لباس محتضر
النصرانية (٢٧٢) ، شعراء النصرانية (٣٠٩) ، ديوان طرفة (٥٨) .

وقال حصين بن الحمام المري :

صفائح يصرى أخلصتها قيونها ومطردا من نسج داوود بهما
الحماسة لأبي تمام (١٨٩) ، النصرانية (٢٧٣) .

وقال حسيل بن سجيع الضبي :

وبيضاء من نسج ابن داوود تثرة نخيرتها يوم اللقاء ملابسا
الحماسة لأبي تمام (٢٨٤) ، النصرانية (٢٧٣) .

وللبيد :

ونزعن من داوود أحسن صنعه ولقد يكون بقوة ونعيم
صنع الحديد لحفظه أسراده لينال طول العيش غير سروم
ديوان لبيد (٨٣) ، (طبعة الخالدي) ، النصرانية (٢٧٣) .

وللأعشى :

ومن نسج داوود يجدي بها على آثر العيس عيرا فعيرا
النصرانية (٢٧٣) ، شعراء النصرانية (٣٨٨) .

ولسلامة بن جندل :

مداخلة من نسج داوود شكلها كحب الجنا من أبلم منفرق

وله أيضا :

من نسج داوود وآل محرف غال غرائبهن في الآفاق
النصرانية (٢٧٣) .

ولم يخل شعر الأعشى من اسم داوود ، فورد في مناسبة التحدث عن حوادث الزمان واعتداء الدهر على الانسان ، وتبدل الأيام ، كما في موضع آخر في كلامه على الدروع[1] . أما عبيد الأبرص ، فقد ذكره في أثناء كلامه على طول العمر[2] .

وعرف (سليمان) في أبيات للنابغة قالها في مدح النعمان ملك الحيرة بتسخيره الجنّ لبناء تدمر[3] . وعرف بمثل ذلك وببنائه الأبنية الفخمة وبسعه ملكه في شعر شعراء آخرين[4] . واذا كان ما نسب الى أولئك الشعراء صحيحاً ، كان رأيهم هذا في سليمان بتأثير ما كان يقصه أهل الكتاب على الجاهليين من قصص وارد في العهد القديم ، في سفر الملوك الثالث وأخبار الأيام الثاني عن ملكه وعجيب أبنيته[5] .

وقد ورد اسم سليمان علماً لجملة رجال عاشوا في الجاهلية وفي أيام الرسول ، فهناك حاكم من حكام العرب المعروفين في الجاهلية اسمه (سليمان بن نوفل)[6] .

---

١ ومر الليالي كل وقت وساعة يزعزعن ملكا أو يباعدن دانيا
وردن على داؤود حتى أبدنه وكان يغادي العيش أخضر صافيا
الحماسة ، للبحتري (٩٠) ، النصرانية (٢٧٢) .

٢ وطلبت ذا القرنين حتى فاتني ركضا وكدت أن أرى داؤودا
خزانة الأدب (١/٣٢٣) ، النصرانية (٢٧٢) .

٣ ولا أرى فاعلا في الناس يشبهه ولا أحاشي من الأقوام من أحد
الا سليمان ، اذ قال الاله له : قم في البرية فاحددها عن الفند
وخيس الجن اني قد أذنت لهم يبنون تدمر بالصفاح والعمد
فمن أطاعك فاخضعه بطاعته كما أطاعك وأدلله على الرشد
ومن عصاك فعاقبه معاقبة تنهى الظلوم ولا تعقد على أحد
العقد الثمين (٧) ، شعراء النصرانية (٦٦٣) ، النصرانية (٢٧٤) .

٤ قال الأعشى :
فلو كان حيا خالدا ومعمرا لكان سليمان البري من الدهر
براه الهي واصطفاه عبادة وملكه ما بين سرفي الى مصر
وسخر من جن الملائك شيعة قياما لديه يعملون بلا أجر
البدء والتأريخ (٣/١٠٨) ، النصرانية (٢٧٤) ، وله أيضا :
فذاك سليمان الذي سخرت له مع الانس والجن الرياح المراخيا
الحماسة ، للبحتري (٨٦ وما بعدها) ، النصرانية (٢٧٥) .

٥ النصرانية (٢٧٣) .

٦ اليعقوبي (١/٢٩٩) ، النصرانية (٢٣٢) .

وهناك جملة من الصحابة عرفوا بسليمان [1] . ومن هذه اللفظة نشأت الأسماء : سلمان وسلام ، وسُليم ، كما يتبين ذلك من أبيات للأسود بن يعفر [2] والحطيئة [3] والنابغة [4]. وعرف بسلمان رجل من نصارى بني عجل اسمه سلمان العجلي .

وهناك طائفة لأسماء نصرانية خالصة تسمّى بها نفر من الجاهليين قبل الاسلام، مثل : عبد المسيح ، وعبد ياسوع ، وعبد يسوع ، وعبد يشوع ، وايشوع ، وأبجر . وقد عرف بأبجر عدد من ملوك الرها ، كما عرف بها أبجر بن جابر سيد بني عجل ، وأفريم ، وبولس ، وجرجس ، وجريج ، ورومان ، ورومانوس، وسرجس ، وسمعان ، وشمعون ، ونسطاس ، وحنين ، و (حنيناء) و (يحنة) [5]. ومن أسماء النساء : مارية ، ومريم ، وحنة [6] ، ومن بين هذه الأسماء ما كانت خاصة بطبقة الموالي الذين جلبوا من الخارج ، وبيعوا في أسواق النخاسة ، فحافظوا على أسمائهم القديمة التي تشير الى أصولهم في النصرانية .

ونرى ورود (عبد المسيح) بين أسماء أهل الحيرة بصورة خاصة ، ورد علماً لأناس معروفين جداً بينهم ، وكانوا عليهم زعماء ، مثل عبد المسيح بن عمرو ابن قيس بن حيّان بن بقيلة ، وكان في جملة من خرج لملاقاة خالد بن الوليد

---

١ مثل سليمان بن الحارث ، الاشتقاق (٢/٣١٨) ، وسليمان الليثي بن أكيمة ، وسليمان بن أبي حتمة القرشي ، وسليمان بن صرد الخزاعي ، وسليمان بن عمرو ابن حديدة ، وسليمان بن مسهر ، وسليمان بن هاشم بن عتبة القرشي ، أسد الغابة (٢/٣٥٠ وما بعدها) ، الاصابة (٢/١٢٨ وما بعدها) ، النصرانية (٢٣٢) ، تاج العروس (٨/٣٤٤) .

٢ ودعا بمحكمة أمين سكها من نسج داوود أبى سلام
تاج العروس (٨/٣٤٤) .

٣ فيه الرماح وفيه كل سابغة جدلاء محكمة من نسج سلام
النصرانية (٢٣٢) .

٤ وكل صموت نثلة ببعية ونسج سليم كل قضاء ذائل
ديوان النابغة (٩٩) ، النصرانية (٢٣٣) ، « أراد نسج داوود ، فجعله سليمان ثم غير الاسم ، فقال سلام وسليم . ومثل ذلك في أشعارهم كثير . قال ابن بري : وقالوا في سليمان اسم النبي ، صلى الله عليه وسلم : سليم وسلام فغيروه ضرورة »، اللسان (١٥/١٩٢ وما بعدها) ، تاج العروس (٨/٣٤٤) .

٥ البكري ، معجم (٤/٥٨٠) ، تاج العروس (٩/١٨٦) .

٦ النصرانية (٢٣٩) ، وقد أورد قائمة بالاسماء النصرانية ، وأورد أمثلة لمن تسمى بها قبل الاسلام من الجاهليين ، البكري ، معجم (٤/٥٧٨) ، « دير حنة » .

للانفاق معه على شروط الصلح[1] . وعادة جعل المرء نفسه عبداً لإلـه أو لشخص مقدس ، كما في هذه التسمية ، لم تكن من العادات الخاصة بالنصارى ، فقـد رأينا أن أكثر الجاهلين كانوا يجعلون أنفسهم عبداً لإلـه من الآلهة ، ثم يتخذون ذلك تسمية لهم ، مثل عبد العزى ، وعبد يغوث ، وعبد ودّ ، وأمثال ذلك . فلما كانت النصرانية ،تبرأ من تنصر من اسم الآلهة الوثنية ،وأحلوا محلها اسم المسيح.

وكان اسم والد حنظلـة صاحب دير حنظة الذي بأرض بني علقمة بالحيرة (عبد المسيح) ، ويذكر الأخباريون أنهم وجدوا على صدر الدير كتابة مكتوبة بالرصاص عـلى ساج محفور : « بني هذا الهيكل المقدس ، محبة لولاية الحق والأمانة ، حنظلة بن عبد المسيح ، يكون مع بقاء الدنيا تقديسه ، وكما يـذكر أولياؤه بالعصمة ، يكون ذكر الخاطىء حنظلة »[2] .

غير ان هذه الأسماء اليهوديـة الأصل أو النصرانية قليلة الاستعمال ، فلم تكن مستعملة بنطاق واسع . وأكثر من تسمى بها ، هم من الموالي والأرقاء ، أو من العرب الذين كانوا على أطراف العراق وبلاد الشأم ، وممن تأثر بالمؤثرات الثقافية الأعجمية ، أو ممن كان على يهودية أو نصرانية ، فتسمى بأسماء محببة أو مباركة في هاتين الديانتين .

وأهل نجران ، هم الذين كانوا يجادلون الرسول في طبيعة المسيح ، فلم يكن بمكة أو بيثرب قوم منهم يستطيعون مجادلته في أمور الدين . وقد ذكـر بعض المفسرين ان أهل نجران كانوا أعظم قوم من النصارى جادلوا الرسول في عيسى. جاؤوا إلى الرسول ، فقالوا له : ما شأنك تذكر صاحبنا ؟ فقال : من هو ؟ قالوا : عيسى . تزعم انه عبدالله . فقال : أجل انـه عبدالله . قالوا : فهل رأيت مثل عيسى أو أنبئت به ، ثم خرجوا من عنده غاضبين . وقالوا إن كنت صادقاً ، فأرنا عبداً يحيي الموتى ويبرىء الأكمه ، ويخلق من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه ، فلما عادوا قال رسول الله : مثل عيسى كمثل آدم خلقه من تراب، ثم قال له : كن فيكون[3] .

---

١ البلاذري ، فتوح (٢٥٢) ، المعمرون ، للسجستاني (٣٨) ، « طبعة كولدتزيهر » . المسرق ، السنة السابعة عشرة ، (١٩١٤) ، (ص ١٣٢) ، البلدان (٦٧٧/٢) .

٢ البكري ، معجم (٥٧٢/٢) ، (دير حنظلة) .

٣ تفسير الطبري (٢٠٧/٣ وما بعدها) .

وقد جادل بعض النصارى رسول الله في أمور الدين ، ثم أسلموا . ونظراً لقلة عددهم بيثرب ، لم يقاوموه هنا كما قاومه اليهود .

وطبيعي أن يتأثر نصارى الجاهلية بلغة بني إرم ، فيستعملوا المصطلحات الدينية التي كانت شائعة في الكنيسة ، وهي مصطلحات إرمية الأصل في الغالب : فقد كانت لغة بني إرم لغة العلم والدين عند النصارى الشرقيين . بها يقيمون طقوسهم الدينية ، ومنها يترجمون الأناجيل الى أتباعهم النصارى العرب ، فدخلت بذلك الى العربية ألفاظ إرمية ذات معان خاصة . ومنها الألفاظ التي تكلمنا عنها وألفاظ أخرى عديدة لم نتطرق اليها ، لعدم وجود صلة لها بهذا الموضوع ، وخشية الإطالة والخروج على صلب الموضوع . وهناك مصطلحات يونانية ولاتينية وحبشية ، لها صلة بالدين وبالمجتمع دخلت العربية أيضاً عن طريق النصرانية ، ظهر أثرها في نصارى بلاد الشأم والعربية الغربية خاصة ، بتأثير الاحتكاك المباشر والتبشير .

وقد عُني بعض الباحثين بجمع المصطلحات الدينية المعروفة عند أهل الكتاب في الجاهلية والتي أقرها الاسلام على نحو ما كانت تعرف به ، أو أعطاها معنى خاصاً ، ومن بينها عدد كبير ورد في القرآن الكريم[1] . ولما كانت غالبية العرب على الوثنية ، وهي ديانة بسيطة قليلة الشعائر بالنسبة الى اليهودية والنصرانية ، لذلك كانت هذه المصطلحات شائعة معروفة بين أهل الكتاب من الجاهليين ، وقد نقلوها من اللغات الدينية التي كتب بها علماء أهل الكتاب ، فهي في الغالب من أصل سرياني أو عبراني أو يوناني أو حبشي .

وقد جمع الأب (شيخو) في كتابه : (النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية) الألفاظ الخاصة بأهل الكتاب من الأبيات الواردة في دواوين شعراء الجاهلية وفي كتب الأدب ، وهي أبيات منها ما أجمع الرواة وأهل الأخبار على نسبتها الى أولئك الشعراء ، ومنها ما ورد عند بعض الرواة والأخباريين ولم يرد في دواوين أولئك الشعراء ليجعل من تلك الألفاظ دليلاً على أثر النصرانية في الجاهليين ، وعلى مدى تغلغلها بينهم . وهو حكم لا يمكن أن يكون سليماً ، إلا بعد ثبوت صحة نسبة تلك الأبيات إلى الجاهليين .

---

١ Nöldeke, Neue Beiträge zur Semit. Sparad., S. 1. ff., J. Horovitz, Jewish Proper Names and derivatives in Koran, 145, R. Bell, The Grigin of Islam in its Christian Environment, London, 1926.

وقد كان للنصرانية أثر مهم في نشر الكتابة العربية ، المأخوذة عن الإرمية ، بين الجاهليين ، الكتابة التي تولد منها قلمنا الذي نكتب به في الوقت الحاضر . وقد وجد المسلمون في فتحهم للعراق مدارس عديدة لتعليم الأطفال القراءة والكتابة ، كما أن تجار مكة ويثرب الذين كانوا يقصدون الشأم والعراق وجدوا الضرورة تحتم عليهم تعلم هذا الخط ، فتعلّموه . ولما نزل الوحي كتب كتابه بـه ، فصار قلم المسلمين . كما سأتحدث عن ذلك في موضوع الخط عند الجاهليين .

ولم يترك رجال الدين من النصارى العرب لنا أثراً كتابياً ينبيء عن مدى اشتغالهم في علم اللاهوت وفي العلوم الأخرى ، غير أن هذا لا يعني أن النصارى العرب لم يخرجوا علماء دين منهم ، ولم يعطوا النصرانية رجلاً منهم يخدمها ويقف حياته الروحية عليها ، ففي قوائم أسمـاء من حضروا المجامع الدينية التي عقدت للنظر في الأمور الجدلية وفي القضايا التي تخص مبادىء الدين أسماء رجـال تنبيء أنهم كانوا عرباً ، وقد دونت في محاضر تلك المجالس أسماء المواضع التي مثلوهـا من بلاد العرب ، كما أن بـين رجال الدين الكبار الذين نبغوا في العراق من كان أصله من الحيرة ، وإذ كانت غالبية سكان هذه المدينة من العرب ، فلا يستبعد أن يكون من بين هؤلاء العلماء النصارى الحيريين من كان من أصل عربي .

لقد كانت النصرانية عاملاً مهماً بالطبع في ادخال الآراء الإغريقية والسريانية إلى نصارى العرب، فقد كانت الكنيسة مضطرة الى دراسة الإغريقية ولغة بني إرم ، لما للغتين من قدسية خاصة نشأت من صلتها بالأناجيل . وقد كان أثر الإرمية أهم في الكنيسة الشرقية من الإغريقية ، لكونها لغة الثقافة في الهلال الخصيب في ذلك العهد . ولهذا وجدنا معظم التعابير والمصطلحات الدينية عند نصارى الشرق هي من هذه اللغة ، ومنها أخذها النصارى العرب ، فصارت عربية . وقد كان السريان قد نقلوا بعض مؤلفات اليونان واللاتين الى لغتهم . ولا أستبعد نقلهم بعض تلك المؤلفات ، ولا سيما الدينية منها ، من هذه اللغة إلى اللغة العربيـة ، وذلك قبل الاسلام ، أو ترجمتها ترجمة شفوية لطلاب العلم من العرب ممن كانوا لا يفقهون لغة بني إرم ، أو لا يلمّون بها إلماماً صحيحاً . وإذ كانت هذه اللغة لغة مقدسة ولغة الكنيسة الرسمية ، وكان أكثر رجال الدين من بني إرم، فقد كانت هذه اللغة اللغة المقررة في الكنيسة ، بها يدرس ويتباحث رجال الدين وإن كانوا عرباً، على نحو ما يفعله رجال الدين المسلمين الأعاجم الذين يدرسون العربية بعلومها المختلفة

ليتفقهوا بذلك في الدين ، والعربية هي لغة الدين الاسلامي، وكما يفعل رجال الدين الكاثوليك أيضاً في دراستهم اللاتينية وتبحرهم بها لأن اللاتينية هي لغة النصرانية عند الكاثوليك .

وكان للنصرانية أثر آخر في نصارى عرب الجاهلية، هو أثرها فيهم من ناحية الفن ، إذ أدخلت النصرانية بين العرب فناً جديداً في البناء . هو بناء الكنائس والأديرة والمذابح والمحاريب والزخرفة ، كما أدخلت النحت والتصوير المتأثرين بالنزعة النصرانية . ولدخول أكثر هذه الأشياء لأول مرة بين الجاهليين، استعملت مسمياتها الأصلية اليونانية أو الإرمية في اللغة العربية ، بعد ان صقلت وهذبت ، حتى اكتسبت ثوباً يلائم الذوق العربي في النطق. وستكشف الحفريات في المستقبل عن مدى تأثر النصارى العرب الجاهليين بالفن النصراني المقتبس عن الروم أو عن بني إرم والأحباش .